

فِي رِيَاضِ ابْنِ زَيْدُونَ

إِنِّي سَمِمْتُ مِنَ (العَرِيفِ) عَبِيرًا
وَذَكَرْتُ فِيهِ حَضَارَةً وَمَصِيرًا
هَبَّتْ عَلَيَّ نَسَائِمٌ مَخْمُورَةٌ
فَوَجَدْتَنِي ثَمَلًا بِهَا مَخْمُورًا
وَلَمَحْتُ خَلْفَ الْعُدُوتَيْنِ مَعَالِمًا
وَرَأَيْتُ ثُمَّ مَعَاقِلًا وَتُغُورًا
وَذَكَرْتُ فِرْدَوْسِي الْفَقِيدَ وَأُمَّتِي
فِيهِ وَطَارِقَ فَتَحَهُ الْمَنْصُورًا
وَأَجَلْتُ طَرْفِي فِي قُصُورِهِمُ الَّتِي
شَادُوا رَوَائِعَهَا فُلْحَنَ قُبُورًا
فَتَحَتْ لِصَقْرِ وَافِدٍ أَبْوَابَهَا
وَحَبْتُهُ جَنَّتَهَا فَعَاشَ قَرِيرًا
مَجْدٌ طَوَّوْتُهُ يَدُ الزَّمَانِ كَأَنَّهُ
مَا كَانَ يَوْمًا زَاهِيًا مَنَشُورًا
جَفَّ الرُّوَاءُ فَلَا مَرَاتِعَ لِلْهَوَى
فِيهَا وَلَا دُنْيَا تَفِيضُ حُبُورًا
طَبَعَ الْأَسَى أَطْلَالَهَا فَكَأَنَّهَا
خَرَسَاءُ أَفْقَدَهَا الْأَسَى التَّعْبِيرًا !

وَكَأَنَّ مَا لَمْ يَشُدُّ فِيهَا شَاعِرٌ
صَبٌّ وَلَمْ يَصُدِّحْ بِهَا شُحْرُورًا
وَكَأَنَّ مَا لَمْ تَشْهَدْ الدُّنْيَا بِهَا
مِيْلَادَ حُبِّ عَطَّرَ المَعْمُورًا
جَلَسَ ابْنُ زَيْدُونَ عَلَى عَرْشِ الهَوَى
فِيهَا وَبَايَعَهُ النَّسِيبُ أَمِيرًا
ذَابَتْ بِلَوْعَتِهِ القُلُوبُ وَفَجَّرَتْ
أَشْعَارُهُ إِحْسَاسَهَا تَفْجِيرًا
إِشْبِيلِيَا تَاهَتْ عَلَى أَخْوَاتِهَا
بِأَبِي الوَلِيدِ مَتِيمًا مَبْهُورًا
ذَابَتْ عَلَى شَفْتَيْهِ آهَاتُ الهَوَى
شِعْرًا كَأَزْهَارِ الرَّبِيعِ نَضِيرًا
حَلَّى بِهِ جِيدَ الزَّمَانِ وَعَاشَ فِي
فِرْدَوْسِهِ قَيْسَ الهَوَى المَشْهُورًا
رَقَّتْ غَلَائِلُ شِعْرِهِ فَكَأَنَّهَا
أَنْفَاسُ رَوْضِ جِنَّتِهِ مَمْطُورًا
تُصْغِي إِلَى أَجْرَاسِهِ فِي نَشْوَةٍ
تَنْسَى بِهَا إِبْدَاعَهُ المَنْثُورًا
أَبَا الوَلِيدِ جُزَيْتَ عَنْ وِلَادَةٍ
لَوْ لَكَ كَانَتْ كَائِنًا مَعْمُورًا

أَحْبَبْتُهَا مَتَّصَوْفَاً وَوَهَبْتُهَا

قَلْباً مَلِيئاً بِالْوَفَاءِ كَبِيراً

فَتَحَّتْ لِعَاشِقِهَا الْمَتِيمِ قَلْبَهَا

فَأَقَامَ فِي وَاحَاتِهِ مَسْحُوراً

قَلْبَانِ لَفَّهُمَا الْهَوَىٰ فِي بُرْدِهِ

وَتَضَوَّعَا عَبْقاً وَشَعّاً نُوراً

صَافَتْهُ أَحْيَاناً وَأَظْلَمَ صَفْوَهَا

حِيناً فَكَانَ الْعَاشِقُ الْمَهْجُوراً

وَجِئْنَا (ابنُ عَبْدِوَسٍ) عَلَى أَقْدَامِهَا

مُتَذَلِّلاً مُتَشَفِئاً مَوْتُوراً

إِنْ يَأْخُذِ الْعَبْدُوسُ مِنْ مَجْنُونِهَا

بَعْضاً فَقَدْ أَعْطَتْهُ لَيْلَاهُ الْكَثِيرَا !

مَاذَا دَهَىٰ وَلَادَةٌ ؟ أَفَتَرْتَضِي

عَنْ شَاعِرِ الْحُبِّ ابْنِ عَبْدِوَسِ الْوَزِيرَا ؟

مَا كَانَ إِلَّا سَارِيّاً فِي دُجْنَةِ

لَمَّا رَأَىٰ رَأَىٰ أَنْتِ النَّوْرَا !

وَأَحَبَّ شَاعِرَةً كَأَنْفَاسِ الصَّبَا

خُلُقاً وَأَنْسَامِ الْأَصِيلِ شُعُورَا

مَا ذَنْبُهُ إِنْ كَانَ حُسْنُكَ أَمِراً

أَعْلَىٰ وَكَانَ فُؤَادُهُ الْمَأْمُورَا ؟

وَلَاذَّةُ ! يَا بَرْزَةَ الْوَجْهِ الَّذِي
 نَسَجَ الْجَمَالَ حِجَابَهُ الْمَسْتُورَا
 هَلْ كَانَ قَصْرُكَ غَيْرَ نَادٍ ضَمَّ مِنْ
 عُشَّاقِ قَلْبِكَ أَنْجُمًا وَبُدُورَا ؟
 جُمِعَتْ أَمَانِي الرُّوحِ فِيكَ فَحَوِّمُوا
 فِي مُنْتَدَاكِ الْمُسْتَطَابِ طُيُورَا
 وَغَدَوْتَ مَطْمَحَ كُلِّ طَرْفٍ عَاشِقٍ
 يَـرْتَدُّ عَنْكَ إِذَا رَأَى حَسِيْرَا



زَهْرَاءُ يَا بَلَدَ الْهَوَى وَمَزَارَهُ
 جَدَّدْتَ فِي قَلْبِ الْعَمِيدِ سَعِيرَا
 لَمْ تُنْسِهِ جَنَاتِكَ الْخَضْرَاءُ وَهَى
 سِي مَفَاتِنُ تَدْعُ الْوُقُورَ غَرِيرَا
 تِلْكَ الَّتِي احْتَجَبَتْ وَظَلَّ جَمَالَهَا
 فِي كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ مَنْظُورَا !
 لَمْ تُنْسِهِ بِرُؤَاكِ سَاحِرَةِ الرُّؤَى
 لَكِنْ شَدَّدْتَ جَنَاحَهُ الْمَكْسُورَا
 فَسَقَى رُبَاكَ بِشِعْرِهِ وَدُمُوعِهِ
 وَشَكَا إِلَيْكَ فُوَادَهُ الْمَقْطُورَا

لَا الْأَرْضُ فِي الزَّهْرَاءِ تُشْبِهُ رَوْضَهَا

خَضِلاً وَلَا هَذِي الطُّيُورُ طُيُورًا

هِيَ جَنَّةٌ لَكِنَّهُ يَحْيَا بِهَا

كَالطُّيْرِ فِي قَفْصِ الْجَمَالِ أُسِيرًا

لِلَّهِ حُبٌّ لَمْ يَزَلْ مَتَوَهِّجًا

كَالنُّورِ يَخْتَرِقُ الْفَضَاءَ مَسِيرًا

سَيَظَلُّ فِي دُنْيَا الْهَوَى أُمَّوَلَةً

تُرَوَّى وَدُسْتُورَ الْهَوَى الْمَسْطُورًا